

المعصرات

السؤال :

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّابًا ﴾ .. فما معنى كلمة : ﴿ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ ؟

الجواب : وقف العلماء فيها .. ولا بد أولاً من أن نبحث المعنى اللغوى .. ما معنى مُعْصِر ؟ .. مُعْصِر ، من أَعَصَرَ ، وأَعَصَرَ معناها : الجارية حان وقت إنجابها ، جارية معصر ، يعنى : حان وقت إنجابها . يعنى : حاضت ، وبدأت تصلح لعملية الإنجاب . قال الشاعر :

فكان حجابى دون من كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبان ومعصر^(١)

يعنى : فتاة ناهد بلغت سن الأنوثة التى تصلح فيها أن تنجب .

إذن .. فما المقصود فى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّابًا ﴾ ؟ [النبا : ١٤] .

بعضهم يقول : الرياح ، وبعضهم يقول : السحب ، وبعضهم يقول : قمم الجبال ، المهم أنها من شىء أعصر . يعنى : حان وقت إنجابها .. الرياح تحمل السحاب . إنما ليس كل ريح تحمله السحاب يمطر . لا بد أن يبلغ منطقة باردة لكي يتكثف وينزل .

كذلك الجبال ؛ ليس كل جبل له قمة ينزل عليها ماء لا بد أن يكون جبلاً له قمة عالية : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ فإسقاء الماء مرتبط بشموخ الجبال .

(١) القائل هو : عمر بن أبى ربيعة .

الجزاء .. والعطاء

السؤال :

حينما يتحدث القرآن عن عقاب الكافرين والظالمين يعبر عنه بلفظ « الجزاء » .. وعندما يتحدث عن ثواب المؤمنين يعبر عنه بلفظ : « العطاء » .. فما الفرق بين المعنيين ؟

الجواب : نعم .. حين تحدث القرآن عن العصاة قال : ﴿ جَزَاءُ **وَقَافًا** ﴾ [النبا : ٢٦]

وحين تحدث عن المؤمنين قال : ﴿ **جَزَاءُ** مِنْ رَبِّكَ **عَطَاءٌ حِسَابًا** ﴾ [النبا : ٣٦] .

إذن .. ففي الشر : جزاء وفاق .. وفي الخير : جزاء وعطاء .
والجزاء جُعِلَ على عمل .. والعطاء جُعِلَ على غير عمل .. لماذا ؟
لأن الحق سبحانه وتعالى وعد أنه من يعمل سيئة يجزه سيئة مثلها .
لكن في باب الخير ماذا يصنع ؟ من يعمل حسنة يجزه عشرة ، فحسنة تقوم أمام حسنة فتصير جزاء .. والتسعة تصير هي العطاء ^(١) .

(١) ﴿ **جَزَاءُ** **وَقَافًا** ﴾ أى : موافقا لأعمالهم . عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ؛ فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة . و﴿ **جَزَاءُ** ﴾ نصب على المصدر ، أي جازيئناهم جزاء وافق أعمالهم ؛ قاله الفراء والأخفش .
وقال الفراء أيضا : هو جمع الوفاق ، والوفاق واللفق واحد .
وقال مقاتل : وافق العذاب الذنب ، فلا ذنب أعظم من الشرك ، ولا عذاب أعظم من النار .

وقال الحسن وعكرمة : كانت أعمالهم سيئة ، فأتاهم الله بما يسوؤهم . ﴿ **لَا تُهْمُ كَانُوا لَا يَرْجُونَ** ﴾ أى : لا يخافون ﴿ **حِسَابًا** ﴾ أى : محاسبة على أعمالهم .
وقيل : معناه لا يرجون ثواب حساب . الزجاج : أي إنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم . ﴿ **وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا** ﴾ أى : بما جاءت به الأنبياء .
وقيل : بما أنزلنا من الكتب .

وقال ابن جرير الطبري في تأويل قوله تعالى : ﴿ **جَزَاءُ** مِنْ رَبِّكَ **عَطَاءٌ حِسَابًا** ﴾



= يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ جَزَاءُ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ ﴾ أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف في هذه الآيات ثوابا من ربك بأعمالهم ، على طاعتهم إياه في الدنيا .
 وقوله : ﴿ عَطَاءٌ ﴾ يقول : تفضلا من الله عليهم بذلك الجزاء ، وذلك أنه جزاءهم بالواحد عشرا في بعض ، وفي بعض بالواحد سبع مئة ، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء فعطاء من الله .
 وقوله : ﴿ حِسَابًا ﴾ يقول : محاسبة لهم بأعمالهم لله في الدنيا .

لا يملكون منه خطابا

السؤال :

يصف الله عز وجل الكفار يوم القيامة بأنهم ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبا : ٣٧] فما معناها ؟

الجواب : معناه .. أن الخلق كلهم مقهورون .. فكما كان هناك قهر في الخلق أولاً ، كان قهر في الحساب ثانياً .
ثم لماذا ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ ؟

لأن الحق سبحانه حينما خلق الدنيا ، جعل فيها أسباباً هو خالقها أيضاً ، ولكن الإنسان قد يغفل بالسبب عن المسبب .. تبقى الأسباب هي التي أمامه دائماً . لكن في الآخرة الأسباب ممنوعة ، والإنعام كله من الله مباشرة ، والمسألة ليس فيها وسائط ، بل أصبحت القدرة المباشرة .. في « كن » . وإذا كانت المسألة هكذا ، إذن فلا يملك أحد من الله خطاباً .
ليس منكم فقط ؟ بل من الذين ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] ويقول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبا : ٣٨] .

إذا كانوا في الدنيا لم يقولوا إلا صواباً ، فهل من المعقول أن يقولوا في الآخرة غير الصواب ؟
ما معنى الصواب ؟

الصواب هو : توافق الحق والواقع ، هذا هو الصواب ، والله تعالى لا يأذن لأحد أن يشفع لأحد إلا لمن رضى الله أن تكون شفاعته مقبولة .
إذن .. ﴿ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ يعني : لا يشفع إلا بإذن الله ، والله لا يأذن لأحد بالشفاعة إلا وهي مقبولة .

يعنى : ساعة يقول له : اشفع لفلان ، يكون معناها : شفاعته مقبولة ، يعنى : مجرد الإذن بالشفاعة إعلام بالقبول .

وهنا قد يثور سؤال : وما فائدة الشفاعة إذن ما دام مجرد الإذن بالشفاعة إعلامًا بالقبول ، فما جدوى الشفاعة ؟

نقول : هذا تكريم للشافع ، ولذلك : عندما تقع الأشياء ولا بد فيريد الله أن يكرم منزلة الشافع ، فيأذن له أن يشفع ، وما دام أذن له أن يشفع فهي مضمونة ، فهي إذن تدل على أن من يشفع مكرم عند الله .



العذاب القريب

السؤال :

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [النبا : ٤٠] فما هو هذا العذاب القريب ؟

الجواب : كل ما هو آت قريب . . فما دام الشيء آت ، فمهما طال زمنه فهو قريب ، بدليل أنه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ يَبْشُرُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴾ [النازعات : ٤٦] .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْتَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ . . العذاب فيه عذاب بعيد قليلاً وعذاب قريب . العذاب القريب بعدما يموتون ، وبعد ذلك يشاهدون مقاعدهم وتعرض عليهم أعمالهم ، ويرون نوع العذاب ويظنون في عذاب إلى أن تقوم الساعة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ [الطور : ٤٧] .

الآيات تقول : ﴿ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿ [الطور] . . ما هذا اليوم ؟ يوم القيامة .
﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ . . يعنى : قبل ذلك ؟

وهناك : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٦] متى هذا ؟ هذا فى يوم القيامة ، لكن يقول قبلها : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ .

إذن . . فهنا يصح أن نقول : إنا أنذرناكم عذاباً قريباً ، لا يكون المقصود به يوم القيامة بل المقصود به ما يشهده الإنسان من واقع ، وما يعذب به الذى هو فى القبر ، أو يكون المراد به يوم القيامة ، وسماه قريباً ، لأن كل ما هو آت قريب .



تزويج النفوس

السؤال :

يقول الله تعالى فى سورة التكويد بصدد الحديث عن يوم القيامة : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ رُجَّتْ ﴾ [التكويد : ٧] فما معنى تزويج النفوس يوم القيامة ؟

الجواب : لكي نعرف معنى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ رُجَّتْ ﴾ بداية نسال : ما النفس ؟ كلمة النفس تخبط الفلاسفة فى تحديد معناها ، مرة قالوا : هي الروح ، ومرة قالوا : هي الكلية ، كلام غير صحيح ، لم يستطع أن يحددها سوى القرآن .

كلمة « نفس » تطلق على امتزاج عنصر الروح بالمادة .. فقبل أن يمتزج عنصر الروح بالمادة لا تكون هناك نفس .. فالروح وحدها ليست نفساً ، والمادة وحدها ليست نفساً ، ولذلك حين يقبض الله تعالى الحياة فى أي إنسان يقول : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ [الزمر : ٤٢]

ما معنى يتوفاها ؟ يفصل روحها عن جسدها ، هذا هو معنى : ﴿ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴾ إذن .. فمدلول النفس هو : امتزاج الروح بالجسد ، وما دام هذا مدلولها ، فكيف تكون قد : ﴿ رُجَّتْ ﴾ يوم القيامة ؟

بعض العلماء قال : يعنى عادت الأرواح إلى أجسادها بعد أن افترقت بالوفاة ، فقد جمع شيئاً إلى شئ ، أي زوجها ، زوَّج المادة بالروح فعادت ، هذا معنى .

ومعنى آخر وهو : أن خلق الله أصبحوا أزواجاً ، أي : أصنافاً ، المتقون فى الدرجة الأولى وحدهم ، وفى الدرجة الثانية أصحاب اليمين وحدهم ، وأهل الشمال وحدهم . ولذلك يقول الله سبحانه فى سورة الواقعة : ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ فَأَصْحَبُ الِّمِئَمَةِ مَا أَصْحَبُ الِّمِئَمَةِ ۗ وَأَصْحَبُ الشِّمَةِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَةِ ۗ ﴾ [الواقعة] فمعنى : زوجت وزعت أصنافاً .

أو أنها ساعة الحشر تأتي كل فرقة بداعيها ، قال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا
كُلَّ أَنَاثٍ بِإِمَائِمِهِمْ ﴾ [الإسراء : ٧١] .

أو أن النفوس زوجت ، بمعنى : أنها كان لها عمل ، والعمل افترق
 عنها .



المنافسة .. والحسد

السؤال :

يقول الله تعالى في سورة المطففين بعد أن ذكر الأبرار وما أعد لهم من نعيم : ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴾ [المطففين : ٢٦] .
فما التنافس وما الفرق بينه وبين الحسد والتمنى ؟

الجواب :

المنافسة هي : المغالبة على الشيء النفيس ، تقول : نافست فلاناً ، يعني غالبته على شيء نفيس ، أنا أريد أن أخذه ، وهو يريد أن يأخذه ، فكل واحد منا يريد أن يحصل على ذلك النفيس .
أو أن المنافسة هي : لون من مجاهدة النفس للحصول على صفات عالية ظفر بها الفضلاء فأتشبه بهم من غير أن ألحق بالغير ضرراً .. يعني : أن أجتهد لأظفر بشيء ظفر به الفضلاء بدون أن ألحق ضرراً بالآخرين .
وبذلك تختلف المنافسة عن الحسد .

لأن مراتب التمنى في الخير أن يرى واحد واحداً في خير ، فيغيظه أن يكون ذلك الرجل في الخير وإن كان المغتاز نفسه في خير .. يعني يوجد غنى يغيظه أن يعتنى شخص آخر ، هذه هي الصورة الأولى .

ثانياً : فقير يرى واحداً غنياً ، تنوعت الصفة هنا ، والموقف هنا يتطلب : أن تتمنى مثل ما معه ، أو تتمنى أن يزول ما عنده .

أول مرتبة في هذا القسم : أن يتمنى أن يزول ما عنده مهما بقيت فقيراً مثله ، وهذه مرتبة دنيئة .

وثاني مرتبة : أن الذي عنده يزول ويحى لك . أو تتمنى أن تكون مثله .

لكن كل ذلك لم يتعد التمنى . والتمنى كما يقول الأدباء : بضاعة الحمقى ، وكونك تتمنى الأشياء بدون أن تعمل للوصول إلى تلك الأشياء هو من عمل الحمقى الذين ليس عندهم همة عالية ، وليس عندهم طموح .

والمنافسة غير ذلك .. لماذا ؟

لأن المنافسة التي جاءت في القرآن : منافسة في شيء من الممكن أن يأخذ المتنافسون جميعاً حظوظهم منه ولا ينقص ، إذ هي في نعيم الأبرار يوم القيامة .

في أمور الدنيا ، هناك خير محدود ظاهر ، هذا يريد أن يأخذه ، وهذا يريد أن يأخذه ، بحيث إذا أخذه هذا لم يظفر به الثاني ، فأنت تتمنى أن تأخذه منه وهو لا يأخذه .

لكن المنافسة فيما عند الله تختلف ، فالله تعالى يقول : ﴿ مَا عِنْدَكَ يُنْفَذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] . فليتنافس المتنافسون ما شاءوا ، وأنت ستأخذ ، وأنا سأخذ ، حظك لا ينقص حظي ، وحظي لا ينقص حظك .
إذن .. فتلك أشرف أنواع المنافسة ، وغيرها هو التمني ، فإذا تمنيت زوال النعمة عن غيرك فأنت حاسد .



الاستفهام فى القرآن

السؤال :

فى القرآن الكريم أساليب استفهامية كثيرة ، ظاهرها أن الله تعالى يستفهم من خلقه عن شىء ، كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ [الشرح : ١] ؟ فما المراد الحقيقى بهذه الأساليب الاستفهامية ؟

الجواب : الحق سبحانه منزّه عن أن يستفهم ليفهم .. لأن الأصل فى الاستفهام أن تريد فهم ما لم تعلم ، ولكن السؤال يردّ لغير ذلك .. يردّ لعلم السائل ، ولكن ليقرر المسئول .

فقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ هل الحق يحتاج إلى أن يفهم أنه شرح صدر محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى شرحه ؟

إذن .. فموضوع حقيقة الاستفهام لا تتأتى هنا ، ولكن بدلاً من أن يقول الحق : شرحنا لك صدرك ، فيكون إخباراً من الله ، يدع الإخبار لمشروح الصدر ، ليجيب هو : نعم شرحت صدري يا رب ، فيكون إقراراً منه بما فعل الحق به .

وهذا الإقرار بما فعل الحق به تثبيت للأمر ، لأن الله لو قال ذلك ، فربما وجد مجادل ، ولكن مشروح الصدر نفسه هو الذى سئل ، وهو الذى أجاب .



طغيان الإنسان

﴿ مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴾ ﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْهَمَ ﴾ [العلق] .

السؤال :

الجواب : الإنسان حين يحرق الأرض فتعطيه الثمر . . يعتقد أنه هو الذى أخضع الأرض ووضع لها قوانينها لتعطيه ما يريد ، يضغط على زر الكهرباء فينير المكان فيعتقد أنه هو الذى أوجد هذه الكهرباء ! يركب الطائرة ، وتسير به فى الجو فيعتقد أنه هو الذى جعلها تطير ، وينسى الخصائص التى وضعها الله سبحانه وتعالى فى الغلاف الجوى ليستطيع أن يحمل هذه الطائرة ، يفتح التلفزيون ويرى أمامه أحداث العالم فيعتقد أن ذلك قد حدث بقدرته هو ، وينسى أن الله تبارك وتعالى وضع فى الغلاف الجوى خصائص جعلته ينقل الصوت والصورة من أقصى الدنيا إلى أقصاها فى ثوان معدودة ، وهكذا كل ما حولنا يظن الإنسان أنه أخضعه بذاته ، بينما كل هذا مُسَخَّر من الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان ، وهو الذى خلق ووضع القوانين .

نقول له : إنك لو فهمت معنى ذاتية الأشياء ما حدثتك نفسك بذلك .
الشيء الذاتى هو ما كان بذاتك لا يتغير ولا يتخلف أبداً ، إنما الأمر الذى ليس بذاتك هو الذى يتغير .

وإذا نظرت إلى ذاتيتك تلك التى أغرتك وأطعنتك ، ستفهم أن كلمة ذاتية هي ألا تكون محتاجاً إلى غيرك بل كل شيء من نفسك ، وأنت فى حياتك كلها ليس لك ذاتية ؛ لأن كل شيء حولك متغير بدون إرادتك ، وأنت طفل محتاج إلى أبيك فى بدء حياتك ، فإذا كبرت وأصبح لك قوة واستجابت الأحداث لك فإنك لا تستطيع أن تجعل فترة الشباب والفتوة هذه تبقى ، فالزمن يملك ولكن لفترة محدودة ، فإذا وصلت إلى مرحلة

الشيخوخة فستحتاج إلى من يأخذ بيدك ويعينك ، ربما على أدق حاجاتك وهى الطعام والشراب .

إذن .. فأنت تبدأ بالطفولة محتاجاً إلى غيرك ، وتنتهى بالشيخوخة محتاجاً إلى غيرك ، وحتى عندما تكون فى شبابك قد يصيبك مرض يقعدك عن الحركة ، فإذا كانت لك ذات حقيقية فادفع هذا المرض عنك وقل لن أمرض ، إنك لن تستطيع .

اللَّهُ سبحانه وتعالى أوجد هذه المتغيرات . حتى ينتهى الغرور من الإنسان نفسه . ويعرف أنه قوى قادر بما أخضع الله له من قوانين الكون ، لنعلم أننا جميعاً محتاجون إلى القادر ، وهو الله سبحانه وتعالى ، وأن الله غنى بذاته عن كل خلقه ، يغير ولا يتغير ، يميت وهو دائم الوجود ، يجعل من بعد قوة ضعفاً وهو القوى دائماً ، ما عند الناس ينفد وما عنده تبارك وتعالى لا ينفد أبداً .. هو الله فى السموات والأرض .

إذن .. فليست لك ذاتية حتى تدعى أنك أخضعت الكون بقدراتك ، لأنه ليس لك قدرة أن تبقى على حال واحد وتجعله لا يتبدل ولا يتغير ، فكيف تكفر بالله تبارك وتعالى وتستتر وجوده ، كل ما فى الكون وما فى نفسك شاهد ودليل على وجود الحق سبحانه وتعالى .

قلنا إن الكافرين صنفان : صنف كفر بالله وعندما جاء الهدى حُكِّم عقله وعرف الحق فأمن ، والصنف الآخر مستفيد من الكفر ، ولذلك فهو متشبث به فمهما جاءه من الإيمان والأدلة فإنه يعاند ويكفر ، لأنه يريد أن يحتفظ بسلطاته الدنيوية ونفوذه القائم على الظلم والطغيان ، ولا يقبل أن يُجَرَّدَ منهما ولو بالحق ، هذا الصنف هو الذى قال عنه الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة : ٦] .

إنهم لم يكفروا لأن بلاغاً عن الله سبحانه وتعالى لم يصلهم ، ولم يكفروا لأنهم فى حاجة إلى أن يلفتهم رسول أو نبي إلى منهج الله ، هؤلاء اتخذوا الكفر صناعة ومنهج حياة ، فهم مستفيدون من الكفر لأنه جعلهم سادة ولأنهم متميزون عن غيرهم بالباطل ، ولأنهم لو جاء الإيمان الذى

يساوى بين الناس جميعًا ويرفض الظلم ، لأصبحوا أشخاصًا عاديين غير مميزين فى أي شيء .

هذا الكافر الذى اتخذ الكفر طريقًا لجاه الدنيا وزخرفها ، سواء أأنذرتة أم لم تنذره فإنه لن يؤمن ، إنه يريد الدنيا التى يعيش فيها ، بل إن هؤلاء هم الذين يقاومون الدين ويحاربون كل من آمن ، لأنهم يعرفون أن الإيمان سيسلبهم مميزات كثيرة ، ولذلك فإن عدم إيمانهم ليس عن أن منهج الإيمان لم يبلغهم ، أو أن أحدًا لم يلفتهم إلى آيات الله فى الأرض ، ولكن لأن حياتهم قائمة ومبنية على الكفر .



الهدى والتقوى

ما المقصود بالهدى والتقوى فى القرآن الكريم ؟

السؤال :

الجواب : يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ۖ أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ ۖ ﴾ [العلق] .

ولنقف الآن عند الهدى لنوضح المقصود به . ونوضح بعد ذلك المقصود بالتقوى .

إن الهدى هو الدلالة التى توصل إلى المطلوب .. وكل دلالة توصل الإنسان إلى المطلوب اسمها : هدى .

فالإشارات التى تدل على الطرق هى : « هدى » . ومن يقترح على الإنسان نصيحة ما .. هو « هدى » . والذى يوضح لك المنهج الموصل لأى هدف هو « هدى » .

إذن .. فكل « هدى » يتطلب هادياً .. ويتطلب مهدياً .

وكان « الهدى » هو القرآن . وكل مؤمن به مهدي .

إن البشرية قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تضاربت فى الوصول إلى الهدى .

اعتقد البعض فى الأصنام .

وعبد البعض النار .

وحرّف البعض الكتب السماوية المنزلة إليهم .

وضع الإنسان ثقته فى أشياء لا تملك الحكمة أو العلم ولا توصل إلى

المطلوب بأقل جهد وفى أقصر زمن .

لذلك جاء القرآن موضحاً بأن الله حق وغيب .

وأن الرسول يتنزل عليه المنهج الشامل الجامع .
ولا كاملَ علماً إلا الله . . حيث إن كل شيء ملك له وكل الكون خاضع له . فإن اتبعنا منهجه كان لنا الإيمان ولا استدراك على مطلوب الله وقدرته على الهداية .

إن الحق يعلمُ محمداً صلى الله عليه وسلم أن من يتبع الهدى المبين وهو القرآن الكريم لن يضل أبداً .

إن قلب المؤمن يردد آيات الحق في مواجهة المشركين : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٧١]

إذن . . فالذى يتبع من ينهى عن الصلاة يضل . . ويفقد الهدى .
ومن يلعب فى الحياة دور الناهى عن اتباع الهدى ينال من حماقته الكثير . وهذا سلوك مرفوض .

إن الطائع لمنهج الله يتعدى خيره إلى كل من حوله .
لأن الطائع لمنهج الله لن يخالف أبداً منهج الحق ، ذلك أن المؤمن يعرف أن من أسس الإسلام اتباع هذا القرآن الكريم وهدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

ف : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » ^(١) .

وهذا عين المسلك المطلوب لخير البشرية .

إن المؤمن قدوة لا يسب ، لا يسرق ، لا ينافق ، لا يتعالى على ضعيف ولا يتجبر على مظلوم .

إذن . . فخير الذى يسير على الهدى ليس مقصوراً على نفسه فقط ، ولكنه خير ممتد ومنتشر لمن حوله .

لكن . . ما بال هؤلاء الذين يأمرون بالتقوى ؟

(١) رواه البخارى [٦٤٨٤] ومسلم [٦٥/٤١] عن جابر رضى الله تعالى عنه .

إن التقوى تعنى فى بعض معانيها الاحتراز من الشر .
 والمتأمل لآيات الوقاية فى القرآن الكريم يرى لوحات من الجلال
 وآيات ترسم أمام الإنسان طريق الجمال .
 وتأتى كلمة « التقوى » حماية للإنسان المؤمن وتنبيهها له لجلال كمال
 الله .

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ
 شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم : ٦] .
 إن الحق جل وعلا يحذر المؤمنين به ويأمرهم أن يحفظوا أنفسهم
 وأهلهم باتباع منهجه الحق .



اليقين .. فى القرآن الكريم

ما أنواع اليقين ؟

السؤال :

الجواب : أسمى أنواع اليقين هو : « حق اليقين » ، وقبلها : « عين اليقين » ، وقبل : « عين اليقين » « علم اليقين » ، وحينما عرض الحق سبحانه هذه المسألة قال : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۖ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۖ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۖ ﴾ [التكاثر] .

اللَّهُ سبحانه يعطينا علم اليقين ، ويصدقهُ المؤمنون بهذا العلم قبل أن يروه ، وسيروى المؤمنون - وهم على الصراط - النار وذلك عين اليقين .

أما مسألة دخول الذين يرون الجحيم إليها فأمر سكت عنه الحق سبحانه ؛ لأن هناك من يدخل الجنة ولا يدخل النار ، وهناك من يدخل النار ولا يدخل الجنة . والكافرون بالله هم الذين سيرون الجحيم حق اليقين . ويأتى « حق اليقين » فى موضع آخر من القرآن الكريم : ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ۖ فَتَرَوْهُم مِّنْ جَمِيمٍ ۖ وَنَضْلِيَهُ جَمِيمٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ۖ ﴾ [الواقعة] .

فكل مكذب ضالٌّ سيهوى إلى الحميم ويضلُّى الجحيم ويعانى من عذابها حق اليقين .

إذن . . فقلوه سبحانه عن مسألة قتل عيسى ابن مريم : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۖ ﴾ . يصدقهُ الذين لم يشاهدوا الحادث ، تصديق علم يقين لأن الله سبحانه هو القائل ، والذين رأوا الحادث عرفوا أنهم لم يقتلوه ولكنهم شكوا فى ذلك . وأما من باشر عملية القتل لإنسان غير عيسى عليه السلام فهو الذى عرف حقيقة اليقين .



سورة الإخلاص .. ثلث القرآن

جاء في الحديث أن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن^(١) ، نريد من فضيلتكم بياناً شافياً لذلك ؟

السؤال :

الجواب : مقاصد القرآن ثلاثة : عقائد ، وأحكام ، وقصص .. وسورة الإخلاص أخذت الثلث الأول كله ، وهو العقائد التي تركز في الإسلام على التوحيد .

ولتوضيح أمر التوحيد نقول : إن المناهج الموجودة على ظهر الأرض هدفها جميعاً من وجهة نظر أصحابها : تصحيح حركة الإنسان ، بحيث لا يشذ عن الصواب ، ولا يخطئ في حركته .

وما دام الإنسان ليس وحيداً في الكون ، فإن أهم ما يصبو تحركه هو ألا تتعارض حركات البشر المختلفة مع بعضها ؛ لأن هذا التعارض يجعلها حركات متعاعدة لا متساندة . وهذا التعاند هو سبب فساد الحياة ، فلا يمكن بالتالي أن تتفق الحركات إلا إذا كان الأمر بالحركات واحداً .

فالوحدانية بالضرورة أساس استقامة حركة الحياة .. وفي الآية الكريمة : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] نجد مدلولاً عميقاً لكلمة ﴿ أَحَدٌ ﴾ ، ونستوعب هذا الفرق أكثر بالفرق بين كلمتي : واحد ، وأحد .

فالواحد فرد لا يوجد له نظير ، ولكنه قابل للتركيب من عدة أجزاء . وبذلك لا يكون « أحداً » لأن الأحد غير مركب .

(١) روى مسلم [٢٥٩/٨١١] عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » .

أحكام شرعية

ما الفرق بين التقنين والتجريم والعقاب ؟

السؤال :

الجواب : الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق النفس البشرية ثم قَنَّنَ لها قوانين ، جَرَّمَ من يخالف هذه القوانين ، وبعد أن جَرَّمَ الخروج عن القوانين وضع عقوبة على الجريمة .

والتقنين فى ذاته يقطع العذر ، فساعة أن قَنَّنَ الحق سبحانه لا يستطيع واحد أن يقول : « لم أكن أعلم » ؛ لأن ذلك هو القانون ، وحين يُجرَّم فهذا إيدان منه بأن النفس البشرية قد تضعف ، وتأتى بأشياء مخالفة للمنهج ، فنحن لسنا ملائكة ، والله سبحانه حين يقنن فقد قطع العذر، وحين يُجرَّم فهو إيدان بأن ذلك من الممكن أن يحدث . وبعد ذلك يعاقب ، وهناك أفعال مُجرَّمة ، ولكن المشرِّع الأول لم يجرِّمها ولم يضع لها قانونًا ، لا عن تقصير منه ، ولكن التجريم يأتى كفرع .

إن الحق سبحانه قدَّر أن النفس البشرية قد تفعل ذلك ، كالسرقة - مثلاً - ولذلك فهو سبحانه وضع حدًّا للسرقة ، وقد تضعف النفس البشرية - فتسرق ، أو تزنى ؛ لذلك فالحد موجود، لكن هناك أشياء لا يأتى لها بالتجريم والعقوبة ، وكأنه سبحانه يريد أن يدلنا من طرف خفى على أنها مسائل ما كان يتصور العقل أن تكون .

مثال ذلك اللواط ، لم يذكر له حدًّا، لماذا ؟ لأن الفطرة السليمة لا تفعله ، بدليل أن اللواط موجود فى البشر وغير موجود فى الحيوان .

لكن ليس معنى ألا يذكر الحق للشئ حدًّا أنه لا يدخل فى الحساب ، لا ، إنه داخل فى الحساب بصورة أقوى ؛ لأن التجريم والعقوبة على التجريم تدل على أن الفعل من الممكن أن يحدث ، وحين يترك هذه المسألة بدون حدٍّ ، فمعنى ذلك أن الفطرة السليمة لا يصح أن تفعلها ، ولذلك لم

يضع لها حداً أو تجريمًا ، وترك الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المكلف بالتشريع أن يضع حداً لهذه المسألة .

إذن . . فعدم وجود نص على جريمة أو عقوبة على جريمة ليس معناه ألا يوجد حساب عليها ، لا ، هناك حساب ، فقد تكون العقوبة أضعف ، وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإلقاء الفاعل للواط والمفعول به من أعلى جبل . إن عقوبتهما أن يموتا بالإلقاء من شاهق جبل .

إذن . . فالعقوبة هنا أكثر من الرجم .

وهكذا نعرف أن عدم التجريم وعدم التقنين بالعقوبة لأى أمر غير مناسب للعقل وللفطرة السليمة دليل على أن هذا الأمر غير مباح ، والحق سبحانه وتعالى لم يترك تلك الأمور سكوتاً عنها ، ولكن هو إيحاء من طرف خفى ، أن ذلك لا يصح أن يحدث ، بدليل أنها لا تحدث فى الحيوانات التى هي أدنى من الإنسان .

وبعد ذلك قد يتعلل الإنسان الفاعل لمثل هذا القبح الفاحش بأنها شهوة بهيمية . نقول : يا ليت شهوتك المخطئة فى التعبير عن نفسها بهيمية ؛ لأن البهائم لا يحدث منها مثل ذلك الفعل أبداً ، فلا أنثى الحيوانات تقترب من أنثى أخرى ، وكذلك لا يوجد ذكر حيوان يقترب من ذكر آخر ، وإذا ما حملت أنثى الحيوان فإنها لا تسمح لأى ذكر من الحيوانات بالاقتراب منها .

إذن . . فالقبح الفاحش من المخالطة على غير ما شرع الله سبحانه يمكن أن نسميها شهوة إنسانية ، فالبهائم لا ترتكب مثل تلك الأفعال الشاذة . والذي يقول عن الشهوة إنها بهيمية فهو يظلم الحيوانات .

والحق سبحانه وتعالى - على الرغم من هذه الخطايا - يبين لنا أنه التواب الرحيم لماذا ؟

انظر إلى الحكمة فى التوبة وفى قبولها ، فلو لم تحدث معصية من الإنسان الذى آمن ، لفقد التكليف ضرورته . فمعنى التكليف أنه عملية يزاحم الإنسان فيها نفسه ويجاهدها لمقاومة تنفيذ المعاصى أو لحملها على مشقة الطاعة .



الله ليس كمثله شيء

السؤال :

وصف الله تعالى نفسه في القرآن بأن له يدًا ووجهًا واستواءً على العرش إلى غير ذلك مما يشبه أوصاف الخلق ، واضطربت الآراء في الكلام عن هذه الأوصاف ، فما وجه الصواب ؟

الجواب : كل ما ورد من إشارات الأسماء أو الصفات لله ونظيره موجود في الخلق ، فنحن نقتصر على القدر الذي وصف الله به نفسه أما كصفات الأشياء فلا ضرورة لها في الإيمان .. الله قال : أنا سميع .. أنا بصير .

إذن .. فله سمع وبصر .. لا تأخذ أنت من الصورة التي تعرفها للسمع وللبصر في الخلق وتقول : إن سمع ربنا وبصره مثلنا ، لماذا ؟ لأنك أنت حاكم بأن ربنا له وجود والخلق لهم وجود ، هل وجود خلقه كوجوده ؟ لا فما دام وجود خلقه ليس مثل وجوده . فلماذا تريد أن تجعل سمع خلقه مثل سمعه وبصر خلقه مثل بصره .. إنك في إطار أنه مخالف . الله حي .. وأنا حي يتكلم الآن . هل الحياة عندي كالحياة عنده ؟ لا .

فإذا ورد اسم أو وصف لله يوجد مثله في البشر فأنت أمام أمرين : ألا تمثل . وألا تعطل . تعطل : بأن تقول : الله ليس له سمع ، لأن السمع للبشر . نقول لك : أنت تقيس ، لأن السمع عندنا له آلة . وأنت نزعت الله عن هذا الأمر . صحيح أنت تريد أن تنزهه ، ولكن لماذا تعطل النص ؟ قال الله : إن لي سمعًا ، فأنت تأخذه على أن له سمعًا ، ولكن كيفية السمع هذه ليست عملي . والكيفيات دائمًا ليست محل إيمان .

